

الطموح الجيوبوليتيكي الصيني Chinese Geopolitical Ambition

دايد محمد زين العابدين *

جامعة بونعامة الجيلالي، خميس مليانة (الجزائر)، مخبر الأمن القومي الجزائري، m.daid@univ-dbkm.dz
الأستاذ المشرف: البروفيسور طيب جميلة

تاريخ النشر: 2021/06/30

تاريخ القبول: 2021/06/07

تاريخ الإرسال: 2021/05/23

الملخص:

تهتم هذه الورقة البحثية بتحليل سلوك الصين في استثمار قوتها الاقتصادية الصاعدة في بناء قوة عسكرية مؤثرة، ونفوذ سياسي على الساحة الدولية، في وقت تتراجع فيه الهيمنة الأمريكية على النظام الدولي، الذي يمر حالياً بموجة من التغييرات وتحول للقوة، إذ بدأت الصين تطرح نفسها باعتبارها قوة دولية قادرة على إعادة التوازن للنظام العالمي، وتأسيس نظام جديد تحتل فيه موقع الصدارة. على الرغم من أن النظام السياسي في الصين لا يزال سلطوياً، فإن النجاح الذي أنجزه في المنحى الاقتصادي للبلاد وتحقيق معدلات عالية من النمو المستدام خلال العقود الثلاثة الماضية والازدهار المصاحب لها، جعل من هذا النظام نموذجاً جذاباً للعديد من الدول النامية.

الكلمات المفتاحية: الصين، الجيوبوليتيك، النظام الولي.

Abstract:

This research paper is concerned with China's behavior to invest its rising economic power in building an influential military forces and political influence on the international System, at a time when the American hegemony over the international system is declining, which is currently undergoing a wave of changes and a shift of power, as China has begun to present itself as a capable international power. To restore balance to the global system, and to establish a new order in which it occupies a leading position. However the political system in China is still authoritarian, the success it achieved in the country's economic trend and the achievement of high rates of sustainable growth over the past three decades and the accompanying prosperity made this system an attractive model for many developing countries.

Key words: China, geopolitics, world ordre.

المقدمة:

تسعى الصين إلى إثبات أنّ صعودها لن يشكل أي تهديد للاستقرار العالمي، وهو إقرار براغماتي من جانبها بالمعضلة التي يفرضها الوزن المتزايد لها في شؤون الدولية. ويؤكد الصعود السلمي والطموح الجيوبولتيكي إلى طمأنة الجيران إزاء النيات الحميدة للصين في السعي إلى نتيجة مثمرة من كل النواحي في علاقاتها الأجنبية، كما يربط الإستراتيجيون الصينيون بشكل جليّ الصعود السلمي للصين بالوضع الداخلي عندما يقرّون بأنّ الصين -على الرغم من صعودها-، فهي لا تزال تواجه عدّة تحديات من الجوانب الاجتماعية والاقتصادية صعبة ومتواصلة داخلياً. وبالرغم من ذلك، فقد استطاعت الصين عبر قوتها الناعمة النفاذ إلى عدد كبير من الدول في قارات مختلفة خلال فترة زمنية وجيزة ودون الحاجة إلى استخدام القوة الصلبة، واللجوء للحلول الأمنية، الأمر الذي أعطاهم وزناً إضافياً على الساحة الدولية سواء في موقعها داخل المؤسسات الدولية، أو في علاقاتها مع الدول الكبرى، فافرضوا عليها -في نفس الوقت- تحديات كبيرة لاسيما إزاء إعادة تعريف صعودها، التي تسعى من خلاله تحقيق إستراتيجية طويلة الأجل الهدف منها انتزاع الهيمنة العالمية من الولايات المتحدة الأمريكية. كما تهدف الدراسة إلى تحقيق بعض الغايات الرئيسية المتمثلة في:

- دراسة المحددات الجيوبولتيكية الصينية وأثرها على تحديد سياسة الصين الخارجية وطموحاتها؛
 - التعرف على أبرز معالم صعود الصين في النظام الدولي، السياسية منها والأمنية؛
 - دراسة كيفية تعامل الصين مع جوارها الإقليمي، والتحديات المصاحبة له.
- ومنه أشرنا الإشكالية التالية، والتي تتركز على فكرة مفادها التساؤل الرئيسي التالي: ما طبيعة الطموح السياسي والأمني للصعود الصيني في النظام الدولي؟

وللإجابة على هذه الإشكالية تم بناء الدراسة على المنهج الوصفي الاستقرائي، إذ يقوم بملاحظة الواقع السياسي بهدف تقديم صورة وصفية وتحليلية، استند الباحث إلى هذا المنهج لملاحظة وتحليل جيوبولتيك جمهورية الصين الشعبية النابع من المحددات الجغرافية والخلفية التاريخية والطموح الموازي لهما، ومن ثم استخلاص نتائج محددة ساعدت الباحث على فهم علاقة الصين بدوار الجوار الإقليمي والدولي، وتركز الدراسة أيضاً إلى المدخل الجيوبولتيكي كإطار للتحليل والتفسير، إذ يعتبر أحد المداخل التي تفسّر صراع الدول على قمة النظام الدولي.

انطلاقاً من الأهداف السالف ذكرها، تنقسم الدراسة إلى ثلاث محاور:

المبحث الأول: يستعرض أهم ما يشكل الطموح السياسي الصيني بدءاً من الدعوة إلى نظام متعدد الأقطاب -على الأقل-، وتفعيل القوة الناعمة الصينية بما تحمله من إيجابيات وغير ذلك من التهديدات السياسية التي تهدد الأمن القومي الصيني وسياستها الخارجية؛

الطموح الجيوبوليتيكي الصيني

أ.د/طيب جميلة

ط.د/ دايد محمد زين العابدين

المبحث الثاني: يدرس هذا المبحث الاعتبارات الأمنية الجديدة في تراتبية الأولويات للصين مع دول الجوار الإقليمي والدولي بما يتناسب مع مصالحها الحيوية والبراغماتية، وبالتالي يستعرض أهم الإستراتيجيات المستعملة في ذلك؛ من تحديث وتطوير القدرات العسكرية الصينية وارتفاع الميزانية العسكرية؛
المبحث الثالث: من جهة أخرى، يتناول هذا المبحث أهم التحديات التي تواجه الطموح الصيني في مسار صعوده نحو القوى العظمى، والسيطرة على المجال الإقليمي مثل بحر الصين الجنوبي وتايوان.

المبحث الأول: الطموح السياسي

ساعدت الإصلاحات التي تبنتها الصين في سنة 1978 على إعادة ترتيب الأولويات في سياستها الخارجية، حيث أعطيت أهمية بالغة للإسراع بتنمية الاقتصاد وجعل الصين دولة اقتصادية كبرى. "إنّ الإستراتيجية الدولية للصين، وبسبب التصاعد الاقتصادي، أصبحت أكثر طموحا. فالصين تحمل طموح رتبة القوى الكبرى، فهي تتطلع إلى نفس السمات التي اتسمت بها القوى الغربية واليابان عند اعتدائها على الصين". وفعلا أحدثت الإصلاحات الاقتصادية تغيرات جذرية وتطورات جوهرية على الاقتصاد الصيني بكل قطاعاته محدثة بذلك ثورة على الهياكل الاقتصادية القديمة وطرق تسييرها التقليدية، إذ دخلت الصين دائرة التقسيم الدولي الجديد للعمل والمرتكز على تصدير المواد المصنعة ونصف المصنعة واستيراد المزيد من المواد الأولية وخاصة النفط. يشكل في الواقع بلوغ القوة الاقتصادية هدف واحد ضمن مجموعة أهداف جديدة أوجدتها الإفرازات الداخلية والدولية لفترة ما بعد الحرب الباردة، "فالسياسة الخارجية الصينية تريد على وجه التحديد منع إنشاء التحالفات ضدها وخاصة في المناطق المجاورة لها والتي تحدّ من حريتها في العمل والنمو الاقتصادي، ضمان الوصول إلى الأسواق الخارجية لتصريف منتجاتها، والحصول على المواد الأولية اللازمة لتحقيق التنمية الداخلية بما فيها الطاقة ولكن ليس الطاقة فقط، أيضا تأمين محيطها لمنع التحديات التي تهدد استقرارها عبر الحدود ولاسيما في التبت شينجيانغ وتعزيز عالم متعدد الأقطاب من شأنه أن يحد من قوة ونفوذ القوى الكبرى وخاصة الولايات المتحدة الأمريكية¹.

المطلب الأول. الدعوة إلى نظام متعدد الأقطاب

يعتبر تشكيل نظام دولي متعدد الأقطاب هدفا رئيسيا في السياسة الخارجية الصينية، خاصة لفترة ما بعد الحرب الباردة، "فالصين ترفض استمرار نظام دولي رهينا للقوة الأمريكية، ساعية بذلك إلى تشكيل نظام دولي متعدد الأقطاب. تمثل فيه الصين القوة الرئيسية في المحيط -الآسيوي والباسيفيكي". «فالصين مقتنعة أن الواقع الدولي يشهد تغيرات عميقة تجعل من هيمنة قوة واحدة أمرا غير مقبول، إذ هناك دول أخرى كثيرة مختلفة من حيث الثقافات والأديان ومستوى النمو الاقتصادي، ومن حقها تقرير شؤونها والمشاركة في إدارة الشؤون العالمية عبر التشاور وفقا لمبدأ المساواة. لهذا لا يمكن لدولة واحدة أن تقود العالم، وتسير كل هذه الاختلافات، لذلك تعتبر النتيجة المنطقية لوجود عالم متعدد الأقطاب².

الطموح الجيوبوليتيكي الصيني

أ.د/طيب جميلة

ط.د/ دايد محمد زين العابدين

وبصورة عامة نجد أن تزامن النمو الصيني السريع والمتسارع مع انهيار القطبية الثنائية شجّع من النظريات الأمريكية التي تنظر للصين على أنها عدوا محتملا وخاصة في ظل شيوع نظرية "صدام الحضارات"، وانتشار الكتابات الأمريكية حول نظريات الهيمنة الصينية وأن الصعود الصيني موجه بصفة أساسية للسيطرة على جيرانها ومهددا للولايات المتحدة ومصالحها، إلا أن حجم القوة الصينية والسياسات السلمية التي انتهجتها الصين أجبرت الإدارة الأمريكية في عهد الرئيس كلينتون على النظر للصين بوصفها شريكا دوليا يساعد الولايات المتحدة في قضايا الإرهاب والمخدرات ومكافحة تبيض الأموال وانتشار أسلحة الدمار الشامل³.

ظهرت "نظرية التهديد الصيني" لأول مرة منذ بداية التسعينيات في ظل النمو الاقتصادي الصيني غير المسبوق، ووجدت هذه النظرية أصداء في الإعلام الأمريكي الذي اتهم الصين بأن الهوية الوطنية الخاصة به قائمة على العداء للغرب، ويرتبط ذلك بالمنظور المستند "لهيكل القوة" Power Structure، بحيث أنه إذا أصبحت دولة أكثر ثراء وقوة، ستسعى إلى مدّ نفوذها الإقليمي والدولي، مما ينعكس على هيكل وتراتبية القوة على المستوى الدولي⁴، ويمكن التمييز في إطار الجدل حول التهديد الصيني ما بين مدرسة متأثرة بالتوجه الواقعي وأخرى متأثرة بالتوجه الليبرالي، والانقسام الرئيسي بين الفريقين يدور حول ما إذا كان تنامي الصعود الاقتصادي والعسكري الصيني يهدد مصالح الولايات المتحدة، وتؤمن المدرسة الليبرالية أن سلوك الصين السياسي والعسكري يمكن تقييده في شبكة من المؤسسات الدولية، بينما يرى التوجه المنتمي للواقعية وعلى رأسهم جون ميرشايمر إلى أن الصين تهدف إلى الهيمنة من وراء صعودها كما فعلت الولايات المتحدة في القرن التاسع عشر، ومن ثم ستسعى الصين لاحتواء اليابان وكوريا من خلال تطوير قوى عسكرية لن تستطيع باق الدول التصدي لها⁵.

ومنذ 2008، ازدادت التحديات والرهانات التي تفرضها الصين على الساحة السياسية وذلك بالتوازي مع مؤشرات حالة عدم الرضا التي تبديها إزاء بعض السياسات الدولية عامة والأمريكية منها خاصة إزاء النظام الدولي، وهو ما يزيد من ملفات الاشتباك بين مختلف الجوانب. ومن المؤشرات على حالة عدم الرضى الصيني بالوضع القائم -حاليا- الستاتيكي الذي تفرضه الولايات المتحدة الأمريكية⁶:

أولاً. في المجال السياسي؛ الانزعاج من التدخل الأمريكي السياسي المباشر لاسيما في موضوع بحر الصين الجنوبي وتايوان، حيث تنظر الصين إلى تشجيع سياسة الانخراط الجماعي على أنه انحياز خفي من قبل واشنطن إلى منافسي الصين في النزاعات الإقليمية منها والدولية؛

ثانياً. في المجال العسكري؛ الانزعاج من التواجد العسكري المتزايد للولايات المتحدة الأمريكية جوا وبحرا على وجه التحديد لاسيما في المناطق الاقتصادية الخاصة التي تدعي الصين أنها تابعة لها وكذلك في المناطق الحساسة في البحر الأصفر؛

ثالثاً. في مواضيع أخرى؛ هناك انزعاج وقلق من الضغط الأمريكي لإبقاء الحظر الأوروبي على تسليح الصين قائماً، وكذلك من استعداد الولايات المتحدة لاستخدام القوة خارج إطار الأمم المتحدة. بالإضافة إلى قضية تايوان وهي العنصر الدائم على أجندة التوتر بين الطرفين خلال الـ60 عاماً الماضية.

المطلب الثاني. خطوات الصين للوصول إلى نظام متعدد الأقطاب

إنّ الصين تقرض نفسها -اليوم- كقوة عظمى ولذلك فهي تتبنى تحركات تقوم على رؤية عالمية تسمح لها بتعزيد قوتها. فهناك تحركات نحو التحالفات السياسية والاقتصادية والعسكرية بشكل متنوع وبطريقة سلسلة بدرجة كبيرة للغاية، وهذه الرؤية الصينية ما هي -في الواقع- إلا برمجة لنهاية قوة عالمية وصعود أخرى⁷.

إنّ تحقيق الهيمنة العالمية لا يمكن أن يركز فقط على الوسائل الاقتصادية، حيث لا بد أن نضيف إلى ذلك الوسائل التي تسهم في إعطاء وإصباغ الشرعية على الممارسات الدولية للصين التي تقدم نفسها للعالم على أنها قائدة المسيرة والمدافع الأول عن البلدان الفقيرة والناشئة⁸. وفي هذا الصدد تقيم الصين علاقات مع مناطق متعددة من العالم في شكل تحالفات اقتصادية وعسكرية، وفي بعض الأحيان الاثنين معاً. وهي تمارس بناء التحالفات بنفس الطريقة التي اتبعتها الولايات المتحدة نهاية الحرب العالمية الثانية، حيث أقامت شبكة تضم عدداً من الدول عبر العالم يعضدها تحالفات عسكرية وسياسية وروابط اقتصادية⁹. إنّ براغماتية الصين تسعى لتحقيق جملة من الأهداف التي أوجدتها الإفرازات الداخلية والدولية لفترة ما بعد الحرب الباردة، أهداف لا تتحقق إلا بضرورة تغيير نمط التفكير الصيني ونماذجه السلوكية بالانفتاح النشط على مختلف مناطق العالم بما فيها المنطقة العربية، بكل ما تقدمه هذه المنطقة من منافع اقتصادية وسياسية لبكين التي لا زالت تذكر دولها بذلك الانتماء المشترك للعالم الثالث مغتمة تصاعدها الاقتصادي والسياسي -والذي تصفه بالتصاعد السلمي-. من جهتها تسعى الدول المغاربية بما فيها الجزائر إلى الاستفادة من كل الفرص التي تقدمها "إمبراطورية الوسط" ولاسيما الاقتصادية منها في زمن توسع فيه مفهوم الأمن وتعددت مضامينه وأصبح للاقتصاد دوراً مهماً في التفاعلات السياسية على الساحتين الوطنية والإقليمية¹⁰.

1. تفعيل القوة الناعمة الصينية

رغم حداثة هذا المفهوم (القوة الناعمة)* بات يكتسب أهمية متزايدة يوماً بعد يوم في حقل العلاقات الدولية لاسيما في وقت لم يعد فيه للقوة العسكرية وحدها الكلمة الفصل في تحديد مدى قوة دولة ما، أو مدى قدرتها على خلق مناطق نفوذ لها على مستوى العالم. وبالرغم من أنّ المفهوم بشكله الحالي قد ولد في الولايات المتحدة الأمريكية، إلا أن الصين تعدّ واحدة من أكثر الدول، استفادت منه على مستوى الدولي فيما يتعلق بتوظيفه في خدمة السياسة الخارجية للبلاد.

الطموح الجيوبوليتيكي الصيني

أ.د/طيب جميلة

ط.د/ دايد محمد زين العابدين

لقد أنجزت الصين تقدماً كبيراً في مجال تفعيل القوة الناعمة في عدد كبير من دول العالم خلال العقدين الماضيين -كما أوردنا في الفصل السابق-، لكن قوتها الناعمة لا تزال بعيدة نوعاً ما عن مثيلتها الأمريكية، فمصادر توليد القوة والناعمة الداخلية لدى الصين تشوبها بعض النقائص والعيوب، ناهيك عن تأثيرها الخارجي محدود لناحية نوعية الجهة المستهدفة إذ ينحصر في بعض الدول التي تنتمي إلى العالم الثالث أو التي تتميز بطابع سلطوي في إفريقيا وأمريكا اللاتينية والشرق الأوسط.

أ. سلبيات القوة الناعمة الصينية

ولّد النموذج الصيني المتبع في الإقتصاد والسياسة الخارجية خلال العقدين الماضيين قوة ناعمة عملت الصين على استثمارها إلى جانب مصادر القوة الناعمة الثقافية التي تمتلكها البلاد من أجل زيادة رصيدها لدى الشعوب والدول الأخرى ولاسيما دول العالم الثالث.

وقد بدت -مؤخراً- الانطباعات الإيجابية التي كانت سائدة عن الصين في بعض الدول التي تنتمي إلى الفئة المذكورة أعلاه بالتغير، بالرغم من الجهود الصينية لتفكيك ملامح الصورة السلبية التي بدأت تطغى لدى الآخرين في مجال انطباعاتهم العامة عنها لاسيما في قضايا مثل الديمقراطية، وحقوق الإنسان، والحريات العامة، والحقوق المدنية، وكلها أمور لا تزال تشكل عائقاً أمام تقديم الصين لتجربتها كنموذج ناجح، وتظهر مدى حدودية القوة الناعمة الصينية. كما نشر مركز "بيو" العالمي نتائج استطلاع للرأي حول سلوك الدول اتجاه الصين أجراه في 38 دولة حول العالم، وقد أظهر الاستطلاع تراجعاً في الصورة الإيجابية عن الصين في تلك البلدان بما في ذلك البلدان التي كانت تتمتع فيها الصين بوضع أفضل كإفريقيا وأمريكا اللاتينية ولاسيما في الشرق الأوسط مع بعض الاستثناءات في هذه المناطق من العالم.

ويرتبط هذا التراجع بالتغيرات التي طرأت على السلوك الصيني سياسياً واقتصادياً وعسكرياً مع اختلاف الحالة من منطقة إلى أخرى ودولة إلى أخرى وتبعاً لعوامل مختلفة، فعلى سبيل المثال -لا الحصر- تراجعت الصورة الإيجابية للصين في مصر 20% بالمقارنة بين عامي 2008 و2018 من 65% إلى 45%، وفي اليابان من 29% إلى 5%، ومن الواضح أن التراجع في بعض الدول يعود إلى تصاعد النظرة إلى الصين كمنافس اقتصادي أو كمصدر شرس للأسواق الأخرى، فيما يرتبط التراجع في بعض الدول الأخرى بتصاعد المخاوف من تنامي قوة الصين العسكرية وعدم تحفظها على استخدام القوة إذا تطلب الأمر للسيطرة على مناطق متنازع عليها في محيطها الإقليمي، فيما يرتبط التراجع لدى دولة أخرى بطبيعة السياسات الصينية الأحادية والثقة الزائدة بالنفس والتي تصل حد التعالي على الآخرين. وبالرغم من كل الجهود التي بذلتها الصين من أجل تعزيز قوتها الناعمة، اعترف الرئيس الصيني "شي جين بينغ" في العام 2014 بضرورة بذل الصين المزيد من الجهود لترقية قوتها الناعمة، ويفسر جوزيف ناي هذا الأمر بأنه إدراك من قبل القيادة الصينية والحزب الشيوعي الصيني بأن زيادتها لقوتها الإقتصادية والعسكرية تحمل

الطموح الجيوبوليتيكي الصيني

أ.د/طيب جميلة

ط.د/ دايد محمد زين العابدين

مخاطر إخافة جيرانها ودفعهم لتشكيل تحالفات لموازنتها، كما يفسر محدودية تأثير القوة الناعمة الصينية بتصاعد النزعة القومية.

وفي عام 2015، نشر موقع المنتدى الاقتصادي العالمي WEF قائمة الدول الثلاثين الأولى في العالم من حيث القوة الناعمة، ووفقا لهذا التقييم، فقد حلت الصين في المرتبة الأخيرة في هذه القائمة أي في المرتبة الثلاثين، وقد سبقتها دول مثل أستراليا واليابان وكوريا الجنوبية وسنغافورا والبرازيل وتركيا والمكسيك.

كما لا تعكس كل هذه المخرجات التي ذكرت سلبيات القوة الناعمة الصينية فقط، وهو الأمر الذي غالبا ما يتم تجاهله عند الحديث عن قوة الصين الناعمة ومدى تأثيرها على المستوى السياسي والاقتصادي وحتى العسكري، بل نقوض عمليا أيضا من الصعود الصيني وتعزل من قدرة البلاد على إقناع الآخرين بأن صعودها سيبقى سلميا¹¹.

ومن جهة أخرى، يعاني النموذج السياسي الصيني من المصادقية، وهو عنصر في غاية الأهمية إذا ما أردنا الحديث عن القوة الناعمة، ذلك لأنّ هذه العملية ذات طبيعة تفاعلية، وهو ما يجعل التصور الموجود لدى الطرف المتلقي عن الطرف الذي يمتلك القوة الناعمة مهما في مجال تحديد مدى تأثير القوة الناعمة.

يقول البروفيسور "جونج ونشيانج" Gong Wenxiang أن عامل نقص المصادقية مشكلة بالنسبة إلى الجانب الذي يتبناه، إذ لا يمكن تصور افتقار المصادقية في تحسين صورة الدولة. فمسألة المصادقية ترتبط بصورة النظام السياسي الصيني وبرؤياه للدبلوماسية العامة التي هي نتاج مؤسسات الدولة، وبهذا المعنى تصبح رسالة رسمية، ومن النادر جدا أن يؤمن الناس فعلا برسالة صادرة عن الدولة مباشرة ناهيك عن أن يكون الجمهور المستهدف غير صيني، وهذا ما يسلط الضوء أيضا على مشكلة سيطرة الحكومة الصينية على كل وسائل الإعلام في البلاد، وي طرح بالتالي سؤال الشرعية وهو ما يقوّض بدوره من القوة الناعمة الصينية.

وفي عام 2016 أظهر استطلاع للرأي قامت به قناة "بي بي سي" bbc أن تأثير القوة الناعمة الصينية لم يكن بالشكل المأمول من قبل الصين. فبعد اندلاع الثورات في الشرق الأوسط العام 2011، قامت الصين بحملة قمع وتضييق ومراقبة على شبكات التواصل وسجن المحامين والنشطاء المهتمين بحقوق الإنسان، الأمر الذي أدى إلى تقويض المزيد من قوتها الناعمة. يقول "هان هان" الروائي وأحد أشهر المدونين الصينيين، أن القيود التي تفرض على النشاطات الثقافية تجعل من المستحيل على الصين أن تؤثر على الآخرين في مجال الآداب والسينما على المستوى العالمي.

ب. إيجابيات القوة الناعمة الصينية

الطموح الجيوبوليتيكي الصيني

أ.د/طيب جميلة

ط.د/ دايد محمد زين العابدين

بالمقابل، ساعدت الوسائل التي تستخدمها الصين في ممارسة القوة الناعمة في أماكن مختلفة من العالم على إعطاء سياسة إيجابية لصعودها في النظام الدولي، ومصدقية أكبر كما مهدت لتقبل التواجد الصيني هناك وبأشكال مختلفة دون الحاجة إلى استخدام القوة الصلبة، أو الوسائل التقليدية التي كانت تلجأ إليها القوى المستعمرة سابقا. بحيث تبنت الصين عددا من عناصر القوة الناعمة في سياستها الخارجية كسياسة الصعود السلمي والتنمية الاقتصادية، والتي مثلت أهم أوجه خطابها السياسي الخارجي، إذ أصبحت الصين قوة صاعدة في وقت قصير وقد مثل ذلك استياء من قبل جوارها لتقوية نفسها على حسابهم، وهذا ما ساهم في إجبار حكومات تلك الدول على الاستفادة من تجربة التنمية السلمية الصينية، والتي تحولت فيما بعد إلى نظرية تتمتع بجذب اقتصادي مؤثر على المستوى الدولي، وفحوى هذه النظرية هي أولا أن التنمية السلمية هي الطريق الأكيد لتحديث الصين؛ ثانيا إن استمرارية تحديث الصين يساهم في تطوير السلام العالمي من خلال توفير بيئة عالمية وسلمية؛ ثالثا تستند الصين في تنميتها على قدراتها الذاتية وتطورها التكنولوجي؛ رابعا تسعى الصين إلى التكيف مع العولمة الاقتصادية من أجل تحصيل المنفعة المتبادلة والتنمية المشتركة مع الدول الأخرى، خامسا التمسك بمبادئ التعاون والسلام والتنمية والسعي لبناء عالم متناغم يسوده الرخاء والسلام الدائم¹².

ومن هذا المنطلق. يمكن تصنيف الأهداف الرئيسية لمظاهر القوة الناعمة الصينية إلى أربعة أقسام، وهي¹³:

- ✓ الظهور كشريك اقتصادي عالمي موثوق به يمكن أن يتحمل المسؤولية بدلا من الخشية من ذلك؛
- ✓ المشاركة النشطة إلى جانب المجتمع الدولي في مجال حفظ السلام العالمي؛
- ✓ توفير مستقبل أفضل لمواطنيها، لضمان فهم دقيق للنظم السياسية والسياسات العامة؛
- ✓ ضمان احترام تاريخها الطويل وثقافتها الكونفوشيوسية القديمة.

ووفقا لجوزيف ناي، فإنّ الصين ومن أجل تحقيق أهداف دبلوماسيتها العامة لابد وأن تركز على مصادر قوتها الناعمة والتي أوجزتها بالإجماع الوطني الصيني والتنمية السياسية والطابع السلمي لسياستها الخارجية والحضارة الصينية، فضلا عن الإستثمارات الخارجية العملاقة في مختلف قارات العالم والمساعدات الإنسانية ودعم جهود الأمم المتحدة في المجالات الإنسانية والتي تمثل جزءا فاعلا من قوتها الناعمة، بالإضافة إلى مشاركتها الفاعلة في المنظمات الإقليمية وتطبيقها الجيد لسياسات حسن الجوار. وبموجب هذه النظرية، فإنّ الصين تسعى إلى إرساء مبدأ السلم والأمن الدوليين انطلاقا من مبدأ احترام سيادة الدول وعدم التدخل في شؤون بعضها البعض.

وفي إطار سياسة القوة الناعمة، تسعى الصين من خلال دبلوماسيتها توفير بيئة آمنة لنموها الاقتصادي واستثماراتها في العالم، ولا تبحث عن التصادم مع القوى الدولية، كما تتجنب الصراعات والنزاعات، فضلا عن سعيها إلى لعب دور إيجابي بإنشاء شبكة من العلاقات مع الدول من مختلف القارات من أجل تجنب

الطموح الجيوبوليتيكي الصيني

أ.د/طيب جميلة

ط.د/ دايد محمد زين العابدين

النظر إليها باعتبارها تهديداً، وإقامة شراكات دولية على المستوى العالمي وإقامة علاقات إستراتيجية مع روسيا والاتحاد الأوروبي واليابان والآسيان والأبليك ومنظمة شنغهاي للتعاون، والتعاون مع مختلف المنظمات الإقليمية لحل المشاكل وإيجاد الحلول لبسط تصور إيجابي عن سياستها الخارجية ذات الطابع السلمي الفاعل.

المطلب الثاني. تبني دبلوماسية الطاقة

تنبثق من استراتيجية التحالفات السياسية للصين استراتيجية أخرى تتعلق بالإمدادات من الطاقة والمواد الأولية والسلع الغذائية، وكما هو الحال بالنسبة لتحالفها مع روسيا، حيث تقوم الصين بتمويل استثمارات مهمة في قطاع الطاقة الروسي لتضمن بذلك الانتفاع من الإمدادات الروسية من الطاقة بطريقة منظمة، وبخلاف روسيا نجد كذلك إيران، حيث تحتفظ الصين بعلاقات منتظمة معها ذات أهمية خاصة وكبيرة. فإيران تصدر جزءا كبيرا من إنتاجها النفطي الخام إلى الصين ثم تستورده بعد ذلك في شكل منتجات مكررة. وإذا انتقلنا من القارة الآسيوية، نجد أن الإستراتيجية الصينية للتحالفات، وكذلك للإمدادات البترولية تخص كذلك إفريقيا وأمريكا اللاتينية وأستراليا، فبالنسبة إلى إفريقيا يمكننا أن نذكر أنجولا بما لديها من موارد بترولية والكونغو بما يمتلكه من موارد معدنية وبترولية وكذلك الجزائر والتي تشاركها الصين العديد من الشراكات في المجال البنى التحتية، وآخرها مشروع الفوسفات بالشرق الجزائري وميناء الحمداية الاستراتيجي. ومؤخرا فقد قامت الصين بتأجير حقل بترولي في دلنا النيجر. ولا شك أن اللقاءات والمنتديات المتعددة بين رؤساء الدول الإفريقية والصين تشير إلى الأهمية السياسية التي تتمتع بها الصين في القارة السمراء¹⁴.

أما بالنسبة لأمريكا اللاتينية، فلقد استقادت الصين من الأخطاء المتراكمة منذ وقت بعيد، والتي وقعت فيها الولايات المتحدة حيث اعتبرت هذا الجزء من العالم كمجال حيوي. لذلك فإن الصين تحركت نحو هذه القارة بوصفها من الدول النامية، وحققت لنفسها صورة جيدة ليست فقط من جانب البلدان المعادية لأمريكا مثل كوبا وفنزويلا، ولكن أيضا لدى قادة الدول الأخرى كالبرازيل أو الأرجنتين بصفة خاصة. وكما فعلت بالنسبة لآسيا وإفريقيا، تسعى الصين أن تضمن لنفسها الإمدادات البترولية والمعدنية على سبيل المثال من النحاس الشيلي. كما تسعى لتأجير أراض زراعية شاسعة في الأرجنتين لضمان الحصول على المنتجات الزراعية، وذلك بفضل العمالة الصينية تماما كما تفعل في إفريقيا.

المبحث الثاني: الطموح الأمني

تعتبر كل من القوة العسكرية والقوة الاقتصادية عنصران أساسيان في "إستراتيجية القوة الشاملة" للدولة، وهما يرتبطان بشكل تلقائي بالأمن القومي والسيادة الوطنية، وينسجم الصعود العسكري الصيني مع الصعود الاقتصادي على المستوى العالمي، وعلى الرغم أنه أثار تخوف البعض من انعكاساته على التوازنات العسكرية القائمة في منطقة شرق آسيا والعالم، إلا أن خضوعه لسياسة الأولويات الصينية والبراغماتية،

الطموح الجيوبوليتيكي الصيني

أ.د/طيب جميلة

ط.د/ دايد محمد زين العابدين

ضمن منظور دفاعي معقد بالإضافة إلى استناده إلى الفكر الإستراتيجي الصيني قد حيد هذه المخاوف وسمح للصين بمواصلة واستمرار صعودها في النظام الدولي.

المطلب الأول. تحديث وتطوير القدرات العسكرية الصينية

على العكس من التطور الإقتصادي، لا يلقي التحديث العسكري الصيني ترحيباً دولياً ولا إقليمياً، بل إنّ الازدهار الإقتصادي مترافقاً مع عمليات التحديث العسكري في الصين وزيادة الميزانية الدفاعية جعل نوعاً من حالة القلق والخوف المتنامي والتكهنات السلبية لدى عدد كبير من الدول لاسيما القريبة جغرافياً من الصين، لأنّ الإنجازات الإقتصادية كانت العامل الأول في صناعة الصورة الإيجابية عن الصين، لكن التحديث العسكري مصحوباً بالقوة والثروة يساهم اليوم في إثارة مخاوف سلبية حقيقية*.

تعتبر الصين القوة الثالثة في العالم فيما يتعلق بعدد رؤوس الصواريخ النووية بعد روسيا الولايات المتحدة، وهي تحتل المرتبة الثانية في عدد الغواصات النووية بعد روسيا، بالإضافة إلى ذلك فإنها أطلقت برنامجاً طموحاً لحاملات الطائرات الذي يمكن أن يغير بطريقة كبيرة قدراتها العملية للتدخل في كل أنحاء العالم. كما أنها تطور برنامجاً للصواريخ أرض/بحر مما يجعل حاملات الطائرات الأمريكية في وضع أقل أماناً. إنّ الصين تتفرد بإقامة صرح فريد من نوعه في العالم يضاهي سور الصين العظيم، وهو عبارة عن نفق بطول 5500 كم يستخدم كملجأ في حالة نشوب حرب نووية، والذي يمنح الصين القدرة على توجيه الضربة الثانية، وهو بذلك يمنح -نوعاً- من عدم الاختراق الإستراتيجي للصين بدرجة أكبر من تلك التي تتمتع بها الولايات المتحدة¹⁵.

كما يعتبر جيش التحرير الشعبي الصيني (PLA) أكبر جيش في العالم من ناحية العدد، وتخصّص الصين ثاني أكبر ميزانية في العالم لتمويل وتحديث القوات المسلحة للبلاد، وتأتي في المرتبة الثانية كأكثر مستورد للسلاح في العالم، كما استطاعت في العام 2012 إزاحة بريطانيا لتحتل مكانها كخامس أكبر مصدر للسلاح في العالم بنسبة 5% من سوق السلاح العالمية.

وعلى نحو مماثل، يكاد الأمر لا يحتاج إلى نقاش في شأن كون الصين لاعباً رئيسياً، فهي قد أصبحت فعلاً قوة إقليمية هامة ويحتمل أن تكون لديها طموحات أوسع، في ضوء تاريخها الذي احتلت فيه موقع القوة (الدولة) الرئيسية، ونظرتها إلى الدولة الصينية الكبرى بوصفها مركزاً عالمياً، وإن الخيارات التي تضعها بدأت فعلاً تؤثر في التوزيع الجيوبوليتيكي للقوة في آسيا بينما ترتبط قوتها المحركة الاقتصادية بإعطاء قوة مادية أكبر وطموحات متزايدة.

تعتبر استراتيجيه "التحديات الأربعة" التي جاء بها "دنغ شياو بينغ" قد وضعت التحديث العسكري في أسفل الأولويات الإصلاحية، ما تسبب في تأخر الاعتناء بالجانب العسكري من جهة، ومن جهة أخرى جعل الصعود العسكري صيني يتباطأ نوعاً ما. كما اعتمد الجيش الصيني مقارنة شاملة للتحديث تقوم على ثلاث مستويات للإصلاح والتحديث¹⁶:

الطموح الجيوبوليتيكي الصيني

أ.د./طبيب جميلة

ط.د/ دايد محمد زين العابدين

• المستوى الأول: التنمية والتدبير والاكتساب (تحديث التسلح)؛

• المستوى الثاني: الإصلاح المؤسسي والتنظيمي؛

• المستوى الثالث: تطوير عقيدة جديدة للحرب والقتال.

وقد حققت مساعي التحديث العسكري الصيني عدة انجازات وقفزات وكمية على المستويات الثلاث، جعلت القوة العسكرية الصينية ومسار تطورها محل المعينة، ورصد ومتابعة.

فعلى المستوى الأول، فقد شهدت الصين زيادة مطردة في حجم ميزانياتها العسكرية، (14% سنوياً) مع العلم بأن الحجم الحقيقي للنفقات العسكرية يبقى مجهولاً بالعودة إلى الأرقام الرسمية، فقد يصل إلى ضعفين أو ثلاثة أضعاف هذا الرقم، وتحل الصين المرتبة الثانية اليوم بعد الولايات المتحدة، بعدما كانت تحتل المرتبة الثالثة وراء روسيا الاتحادية¹⁷.

أما المستوى الثاني والثالث ومع تطور وتوسع القدرات العسكرية الصينية غيرت الصين استراتيجياتها العسكرية إلى أخرى تتضمن الدفاع عن المياه الزرقاء وغزو الفضاء، كما استفاد الجيش الصيني من دروس حرب الخليج العام 1991م، وتبني مذهب (حرب محلية تحت ظروف عالية التكنولوجيا)، وهو مذهب دعمته حملة كوسوفو العام 1999م، والثورة الجديدة في الشؤون العسكرية، فالورقة البيضاء الصينية حول الدفاع لسنة 2004 اعترفت بأن الفجوة التكنولوجية الناجمة عن الثورة في الشؤون العسكرية سيكون لها تأثير كبير على أمن الصين، وعدلت الصين عقيدتها الأمنية ومذهب جيشها على أساس (حرب محلية تحت ظروف عالية التكنولوجيا).

وهناك العديد من الأدلة القوية التي تدعم هذا التفسير. ارتفع الإنفاق العسكري للصين بنسبة 10% خلال عدة سنوات، ارتفع رسمياً إلى 116 مليار دولار بحسب آخر التقارير الرسمية المعلنة، وبحجم إنفاق حالي يبلغ 180 مليار دولار، في 2011 قامت الصين بشراء أول حاملة طائرات في قواتها -نموذج سوفيتي معدل-، وأعلنت عن نيتها تصنيع العديد منها، واختبرت أول طائرة شبح، وأعلن الإعلام الذي يتحكم في الحزب الشيوعي عن تطلعه إلى تطوير صواريخ بالستية متعددة الرؤوس، مما يجعلها قادرة على تخطي منظومة الدفاع الأمريكية المضادة للصواريخ. كما تعمل الصين على تطوير صواريخ تطلق من الغواصات قادرة على تقادي أنظمة الإنذار المبكر الأمريكية التي لم تشهد أي تطور منذ الحرب الباردة. وتقوم أيضاً بتطوير برنامجها الفضائي على الصعيدين المدني والعسكري¹⁸.

إضافة إلى تحديث قواتها الجوية والبحرية في التسعينيات، واصلت الصين الاستثمار في برنامج الصواريخ البالستية الشامل والراسخ الذي أعطته بكين أولوية منذ منتصف الخمسينيات، فبهدف تحسين إمكانية البقاء وتغطية الأهداف وإحباط الدفاعات الصاروخية المتوقعة اندفعت الصين في تطوير جيل ثان من الصواريخ البالستية نووية التسليح بعيدة المدى عابرات للقارات والتي تطلق من الغواصات التي ستكون -على الأرجح- مزودة برزم رؤوس حربية متعددة¹⁹.

الطموح الجيوبوليتيكي الصيني

أ.د/طيب جميلة

ط.د/ دايد محمد زين العابدين

من جهة أخرى، وبعد حوالي عقدين من التحديث والتطوير أصبحت الصين أكبر قوة بحرية في آسيا، وتتوفر على ثلاثة أساطيل، وهي: أسطول البحر الشمالي والبحر الجنوبي والبحر الشرقي، وتمتلك الصين -حاليا- 27 مدمرة و51 فرقاطة و27 سفينة إنزال كبيرة و54 أخرى صغيرة، وتمتلك حاليا أكبر أسطول غواصات في آسيا يتكون من 8 إلى 10 غواصات تعمل بالطاقة النووية و48 منها بطاقة الديزل، وشملت مختلف برامج التطوير أسلحة أخرى مثل الصواريخ العابرة للقارات، والصواريخ المضادة للسفن والغواصات وأنظمة الاستطلاع البحري، وفي سنة 2011 بدأت تجريب أول حاملة طائرات لها، وجاء في الورقة البيضاء للدفاع سنة 2011 أن القوة الوطنية الشاملة للصين قد دخلت مرحلة جديدة²⁰.

المطلب الثاني. ارتفاع الميزانية العسكرية

يربط كثيرون -عادة- بين الصعود العسكري للدولة وبين حجم الأموال المخصصة للميزانية الدفاع، لكن الواقع يقول أنّ الإنفاق المتزايد أو المرتفع أصلا لا يضمن وحده لأي دولة وجود قوات مسلحة قوية ومتطورة بالضرورة، ولكن لما نتحدث عن الحالة الصينية فالأكيد أن المتابع يستطيع أن يلاحظ التحول الكبير والضحخم الحاصل فيما يتعلق بالقوات المسلحة الصينية خاصة في الفترة الممتدة منذ نهاية التسعينيات من القرن الماضي، وهو ما يعني أن الإنفاق العسكري جزء بالضرورة من هذا التطور الحاصل في القدرات العسكرية للصين.

وتشير إحصائيات معهد سبيري (SPIRI) المتخصص في رصد الإنفاق العسكري إلى ارتفاع حجم الصادرات العسكرية الصينية بين الأعوام 2008 و2012 بنسبة 162% مقارنة بالسنوات الخمس السابقة لهذه الفترة الزمنية، كذلك الأمر بالنسبة إلى حصة الصين من سوق السلاح العالمي والتي ازدادت عن نفس الفترة من 2% إلى 5%.²¹

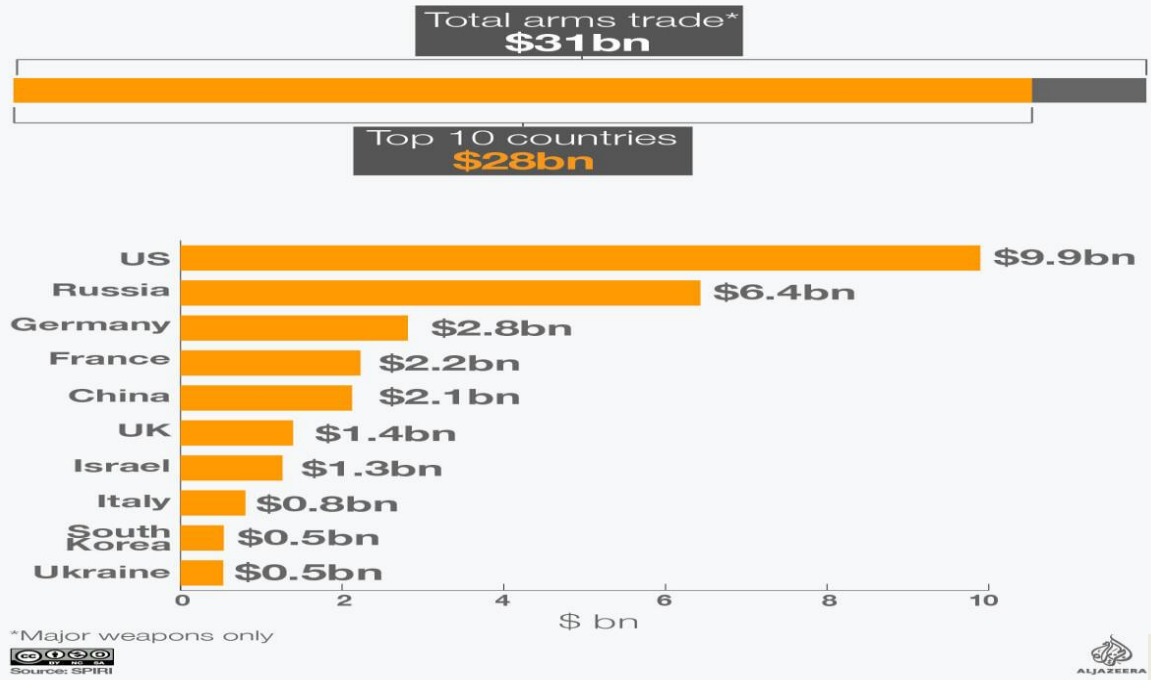
الطموح الجيوبوليتيكي الصيني

أ.د/طيب جميلة

ط.د/ دايد محمد زين العابدين

Global arms trade in 2016

Ten countries account for 90 percent of the global arms trade.



المصدر: (2016) ، الشكل البياني من موقع معهد سبيري spiri

تقوم الصين ببذل جهود كبيرة لتحديث وتطوير جيشها، وتزويده بالمعدات والآليات والأسلحة والتكنولوجيا الحديثة، بما ينسجم مع الهدف الرئيس للاستراتيجية الصينية وهو الوصول إلى جيش أصغر حجماً وأكثر تنظيماً، ومدرّب تدريباً جيداً. ومجهز بأحدث التقنيات العسكرية، كما لا بدّ من الإشارة إلى ارتفاع الصين عام 2019 إلى ثاني أكبر منفق عسكري في العالم بعد الولايات المتحدة الأمريكية. كما تشير الأرقام إلى ارتفاع هائل في الميزانية الصينية للدفاع بالتوازي مع القفزات الضخمة التي كان الإقتصاد الصيني يحققها منذ نهاية التسعينيات إلى يومنا هذا، إذ ارتفعت ميزانية الدفاع وفقاً للأرقام الرسمية الصينية بأكثر من إحدى عشرة ضعفاً خلال 15 سنة فقط، من رقم متواضع جداً على سبيل المثال كان يمثل حوالي 9.8 مليار دولار عام 1997 إلى حوالي 177.6 مليار دولار في عام 2019، أي ما يعادل 1190 مليار يوان، أي بنسبة 7.5%.

وقد سمحت هذه المخصصات المالية بالإضافة إلى الرؤية الخاصة لدى القيادة الصينية لطبيعة ودور الجيش الشعبي الصيني خلال المرحلة الحالية والمستقبلية في تطوير القدرات العسكرية الصينية خلال سنوات قليلة في مختلف المجالات، ومنها²²:

1. **الصواريخ الباليستية:** قبل حوالي عقد من الزمان كان عدد الصواريخ الباليستية القصيرة المدى محدوداً نسبياً في منطقة جنوب شرق الصين، بينما تنتشر اليوم في تلك المنطقة أكثر من 1300 صاروخ بالستي تقليدي قصير المدى ما يجعلها تمتلك أكبر وأكثر قوة فتكاً في العالم فيما يتعلق بترسانة الصواريخ الباليستية

الطموح الجيوبوليتيكي الصيني

أ.د/طيب جميلة

ط.د/ دايد محمد زين العابدين

القصيرة المدى، وما ينطبق على الصواريخ الباليستية القصيرة المدى ينطبق أيضا على تطوير الصواريخ الباليستية المتوسطة المدى ذات ١ إصابات الدقيقة والفعالة. يشير آخر تقرير لوزارة الدفاع الأمريكية (البنتاغون)، إلى أن الصين تمتلك أكر برامج تطوير صواريخ كروز والصواريخ الباليستية الأرضية نشاطا في العالم، وقد نمت قدراتها في الأسلحة الموجهة التكتيكية والإستراتيجية بشكل ملحوظ جدا خلال العقدین الماضیین²³؛

2. القوة الجوية: قامت الصين خلال العقدین الأخیرین بامتلاك أكثر من 40 غواصة جديدة هجومية (باليستية ونووية) تعمل بطريقة تقليدية أ، بالطاقة النووية، ثم أضافت الغواصات إلى أسطولها البحري بشكل أكبر بكثير من أي دولة في العالم. ويمتلك السلاح البحري الصيني حوالي 15 مدمرة مزودة بصواريخ موجهة أضيف إليها فيما بعد ثلاثة أنواع متطورة من المدمرات في العام 2003 وحده فقط، كما تحافظ الصين على أكبر مخزون من الألغام المائية في العالم، علما أنها كانت قد أنجزت بناء منشآت سرية تحت الأرض قادرة على استقبال حوالي 20 غواصة؛

3. القوة البحرية: قامت الصين خلال العقدین الأخیرین بامتلاك أكثر من 40 غواصة جديدة هجومية (باليستية ونووية) تعمل بطريقة تقليدية أو بالطاقة النووية، ثم أضافت الغواصات إلى أسطولها البحري بشكل أكبر بكثير من أي دولة في العالم، ويمتلك سلاح البحرية حوالي 15 مدمرة مزودة بصواريخ موجهة أضيف إليها فيما بعد ثلاثة أنواع متطورة من المدمرات في العام 2008 لوحده فقط، كما تحافظ الصين على أكبر مخزون من الألغام المائية في العالم، علما أنها كانت قد أنجزت بناء منشآت سرية تحت الأرض قادرة على استقبال حوالي 20 غواصة؛

4. القدرات النووية: دأبت الصين في الفترة الأخيرة على تطوير قدراتها النووية الكمية والنوعية وإدخال المزيد من الصواريخ النووية العابرة للقارات إلى الخدمة في القواعد البرية والبحرية واتخاذ إجراءات غير تقليدية وإن كان ذلك يتم في ظل السياسة الحكومية التي تقرّ بعدم استخدام الأسلحة النووية الصينية في أي ضربة أولى.

كما استطاعت الصين خلال هذه الفترة تطوير قدراتها بشكل كبير جدا في مجال المعلوماتية والتجسس الإلكتروني والحرب الإلكترونية (Cyber War)، وتحقيق إنجازات نوعية أيضا في مجال تطوير الإنتاج الحربي والتقني والمعلوماتي، لعل أهمها ما يلي:

- أنظمة الإغراض: إذ استطاعت الصين في عام 2007 اختبار أول نظام مضاد للأقمار الصناعية في مجال الفضاء لديها والذي يعرف باسم أي سات (ASAT) بنجاح، لتصبح واحدة من ثلاثة دول فقط تمتلك هذه التكنولوجيا في العالم إلى جانب الولايات المتحدة وروسيا، كما نجحت في امتلاك صواريخ مضادة لحاملات الطائرات (ASBM)، وتعمل على تطويرها بشكل مستمر منذ العام 2009، وأجرت في العام

الطموح الجيوبوليتيكي الصيني

أ.د/طيب جميلة

ط.د/ دايد محمد زين العابدين

2011 أول اختبار ناجح لمنظومة اعتراض الصواريخ الباليستية (ABM) العابرة للقارات خارج الغلاف الجوي، لتتضم بذلك أيضا إلى الولايات المتحدة وروسيا.

- وضع أول حاملة في الخدمة عام 2012، قادرة على حمل طائرات مقاتلة مزودة بصواريخ مضادة للسفن وصواريخ (جو-أرض) و(جو-جو)، لتصبح بين الدول القليلة في العالم التي تمتلك حاملات طائرات معدودة.

- إنتاج نموذج طائرة (J-20) المقاتلة عام 2011، وزهي مقاتلة من الجيل الخامس الأحدث تطورا وبقدرة تخفي عالية تشبه إلى حد ما طائرة (F-22 Raptor) الأمريكية.

- تطوير برنامج الفضاء الطموح والذي بفضلها أصبحت الصين ثالث دولة في العالم -بعد روسيا والولايات المتحدة- قادرة على نقل البشر إلى الفضاء، حيث قامت برحلة قصيرة عام 2003 ورحلة طويلة نسبيا عام 2013، ومؤخرا وصلت إلى إنزال مكوك على ظهر القمر* عام 2019، مع شروع الجيش الصيني في إقامة محطة فضائية (تيانغ يونغ) بحجم محطة (مير) الفضائية السوفيتية سابقا، بحيث تكون مأهولة بالبشر بشكل دائم العام 2020. وكل هذه التطورات المنجزة في المجال العسكري خلال فترة زمنية قصيرة نسبيا تعطينا فكرة واضحة عن معالم الصعود العسكري للصين وبالتزامن مع صعودها الإقتصادي.

- البرنامج الفضائي الصيني تديره إدارة الفضاء الوطنية الصينية (CNSA) وتعود جذوره التكنولوجية إلى أواخر سنة 1950، حين شرعت الصين بتطوير برنامجاً للصواريخ الباليستية رداً على تهديدات ملموسة. إلا أن أول برنامج لارتياح طواقم بشرية صينية للفضاء لم يبدأ إلا بعد عشرات السنين، حين توج برنامج مُسرّع للتطوير التكنولوجي بالتحليق الناجح، سنة 2003، لرائد الفضاء يانك لي وي على متن شن زو 5. هذا الانجاز جعل الصين ثالث بلد يرسل، بشكل مستقل، بشراً إلى الفضاء. وحالياً تتضمن الخطط إقامة محطة فضائية صينية دائمة في 2020 ورحلات لطواقم بشرية إلى القمر واستكشاف الكواكب خارج المجموعة الشمسية.

في ضوء ارتفاع تكلفة القوة الصلبة ماديا وبشرياً وعدم قوة القوة الناعمة* على أن تعمل وحدها، جاء الحديث عن إطار جديد لمفهوم القوة في السياسات العالمية يقوم على الاستفادة من كلتا القوتين الناعمة والصلبة، وذلك في إطار استراتيجيات جديدة تستدعي أدوات القوة المختلفة تبعا للموقف والسياق، وفي إطار مراجعة السياسات الخارجية للدول بدأ الحديث عن استراتيجيات القوة الذكية في السياسة الدولية للجمع بين أدوات القوة الناعمة والقوة الصلبة بتوليفات معينة يقتضيها الموقف الذي تستعمل فيه القوة الذكية، والقوة الذكية ليس مفهوما مغايرا بجانب القوة الناعمة والصلبة وليس مفهوما جديدا فهو مفهوم قائم -بالأساس- على القوتين ولكن بشروط واستراتيجيات تراعي عددا من المتطلبات. فبجانب تركيز الدول الكبرى على ميزانية الدفاع والأسلحة بنوعها الدفاعية والهجومية جاء التركيز على الأبعاد الناعمة للقوة، فالصين بجانب ما أسماه البعض بالصعود الصيني السلمي اعتمادا على التبادلات الطلابية والثقافية ونشر اللغة الصينية

الطموح الجيوبوليتيكي الصيني

أ.د/طيب جميلة

ط.د/ دايد محمد زين العابدين

(أنظر الفصل الرابع)، ركزت على الأبعاد العسكرية في سياستها الخارجية والتحالفات العسكرية والمبادلات الاقتصادية والتجارية²⁴.

المبحث الثالث: أهم تحديات الطموح الصيني

بالمقابل، نتحدث الوقائع إلى أن أبرز المتأثرين بالنشوة وشعور القوة في الصين هم طبقة القوميين التقليديين أو الصقور - لاسيما العسكريين منهم²⁵ -، والذين بدؤوا منذ السنوات قليلة بالتعبير عن مواقف أكثر تشددا وحزما في الدفع باتجاه أن تأخذ الصين موقعا أكثر تقدما في النظام الدولي وأن لا تتراجع حتى إذا تطلب الأمر التصادم مع الولايات المتحدة أو الدخول معها في مواجهة مباشرة وحرب استنزاف. ويضم هذا التيار في الغالب قادة عسكريين من القوات المسلحة الصينية أو بعض الضباط العسكريين المتقاعدين حديثا بالإضافة إلى أولئك الذين ينضمون إليهم بشكل متزايد من الباحثين وأساتذة العلاقات الدولية من الجامعات الصينية المرموقة ومراكز الأبحاث المعروفة في البلاد²⁶.

كما تحتل هذه الآراء والتعليقات حينما يتم نشرها أو الإدلاء بها العناوين الأولى في الصحف والجرائد والمواقع الإلكترونية مما يعكس حقيقة أنهم يستطيعون الوصول إلى جمهور واسع. وتتلخص رسالتهم في أنّ الصين لم تعد ضعيفة وأنها لن تقبل بكل بساطة أن يتم فرض ما لا تريده عليها بالقوة، ويشدد هؤلاء دوما على ضرورة أن تقوم الصين بردّ فعل مباشر في حدود تتراوح بين رسم خط واضح للتحركات البحرية الأمريكية في منطقة غرب المحيط الهادئ، إلى الإعلان عن أنّ الصين عاقدة العزم على مواجهة الولايات المتحدة إذا فرض عليها الأمر²⁷.

كان موقف الصين مماثل لألمانيا واليابان بعد الحرب: اقتصاد مؤسس على التجارة يعتمد على الاستقرار الدولي، الذي قد تعرقله محاولة التحول إلى القوة العسكرية، يظن بعض المحللين من ذوي الخبرة أن الصين إذا حاولت منافسة الولايات المتحدة في هيمنتها العسكرية -مع أنها مستمرة في مساعيها نحو التنمية الاقتصادية- فإن هذا سيكون بمنزلة غباء استراتيجي²⁸. وهل تشبه الصين اليوم ألمانيا واليابان بعد إعادة تأسيسها، مجرد قوة اقتصادية صاعدة لا تمتلك من الأسباب ما يجعلها تسعى إلى منافسة الهيمنة العسكرية للولايات المتحدة وتخاطر بالصراع معها.

علاوة على ذلك، إذا ما نظرنا من منظور الترابط الاقتصادي، فإن الصراع العسكري بين الولايات المتحدة والصين سيبدو غير منطقي بنفس درجة عدم منطقية نشوب صراع عسكري بين القوى الأوروبية. قبل أن تنشأ الصين سوقا استهلاكية داخليا ذا قدرة شرائية ضخمة، لن يكون هناك من لديه شهية أكبر من شهية الولايات المتحدة اتجاه شراء بضائع الصين. وقد ظهر هذا الرأي أولا عن طريق الصحفي البريطاني، نورمان أنجل Norman Angel في كتابه الموسوم بـ "الوهم الكبير"،²⁹ "The Great Illusion"، الذي نشره العام 1909، وهو كتاب ذو شهرة عريضة، مقروء على نطاق واسع، يقول فيه بأن سباق التسلح الذي كان بين بريطانيا وألمانيا كان نتيجة لخطأ تأسيسي، فكل كان يظن أن النجاح الاقتصادي كان يعتمد على الهيمنة

الطموح الجيوبوليتيكي الصيني

أ.د/طيب جميلة

ط.د/ دايد محمد زين العابدين

العسكرية فحسب، لكن الاقتصاد الحديث المشتق من المنظومة الرأسمالية يعتمد على الأرصدة الائتمانية، في عالم تسوده الديون فإن احتلال دول أخرى كان غير ذي فائدة، لأن ثروات الدولة التي يتم غزوها معرضة للتبخر في نفس اللحظة التي تدخلها فيها. ورغم إصرار الكاتب على عدم منطقية الحرب العالمية الأولى (1914-1918) إلا أنها أحدثت، وبدا أن فرضية أنجل نورمان لم تلق اهتماماً، لكنها عادت مرة ثانية سنة 1970 في صورة أكثر تعقيداً عن طريق دارسي العلوم السياسية والعلاقات الدولية وأصحاب النزعة الليبرالية، الذين دفعوا بأن الترابط الاقتصادي بين المؤسسات الدولية وعمليات التحول الديمقراطي قد تقلل من احتمالات نشوب الحروب، وأكبر دليل يستعين به الليبراليون الأمميون هو نموذج الإتحاد الأوروبي، الذي جلب السلام والرخاء -في أغلب الحالات- إلى دول كان العداء بينها دائماً منذ الحرب العالمية الثانية (1939-1945)، بل ولمئات السنين قبل ذلك، حقق الإتحاد الأوروبي هذه المعجزة عن طريق الزيادة التدريجية في حجم الروابط الاقتصادية بين أعضائه، في حين يقوم بدمجهم أكثر فأكثر في مؤسسات قانونية حكومية، أحد الأسباب التي تصعب من تصور نشوب حرب بين بريطانيا وفرنسا وألمانيا، هو وجود الكثير من الثروات التي سوف يخسرونها حال قيام هذه الحرب.

الشاهد أن أحد الدروس الأممية الفاصلة لما بعد الحرب العالمية الثانية هو أن تحول القوى الاقتصادية الكبرى إلى قوى عسكرية كبرى لم يكن حتمياً. صعدت كل من ألمانيا واليابان بسرعة شديدة كفاعلين في المجتمع الدولي، في فترة ما قبل الحرب بعد هزيمتها، فرضت عليهما الولايات المتحدة عدم إنشاء قوة عسكرية، حتى لو أصبحا منافسين اقتصاديين، لن يمكنهم ذلك من أن يصبحا منافسين استراتيجيين مرة أخرى³⁰.

وقد نجح هذا؛ فقد تمكنت ألمانيا بعد دخولها في الإتحاد الأوروبي من العودة تدريجياً كقوة اقتصادية إقليمية، لكن بدون أي طموحات توسعية مصاحبة لصعودها كدولة قومية، حتى بعد توحيد ألمانيا، فإنها بقيت ملتزمة بالمفهوم السلمي للمشروع الأوروبي.

نجمت القضية الجيواستراتيجية ذات الأهمية الحرجة من ظهور الصين كقوة رئيسية، فالنتيجة الأكثر إثارة سوف تأتي من اختيار الصين، بعد تحولها إلى النظام الديمقراطي والسوق الحرة، فالدخول إلى إطار تعاون إقليمي آسيوي أكبر. ولكن لنفترض أن الصين لم تتحول إلى دولة ديمقراطية واستمرت في المقابل في النمو في القوة الاقتصادية والعسكرية يمكن عندئذ أن تظهر (الصين العظمى) مهما كانت رغبات وحسابات جيرانها. وإن أي جهد يهدف إلى منع حدوث ذلك يستطيع أن يؤدي إلى نزاع حاد مع الصين وإن مثل هذا النزاع يمكنه أن يخلق التوتر في العلاقات الأميركية اليابانية لأن أحداً لا يمكنه التأكيد أن اليابان سوف تريد أن تسير على خط أميركا في احتواء الصين وبالتالي يمكن لذلك أن يترك تأثيرات ثورية غالباً على تحديد طوكيو لدور اليابان الإقليمي وربما يؤدي ذلك أيضاً إلى إنهاء الوجود الأميركي في الشرق الأقصى. ومهما يكن الأمر فإن للتكيف مع الصين واستيعابها ثمناً أيضاً، فقبول الصين بوصفها قوة إقليمية ليس مسألة تتعلق

الطموح الجيوبوليتيكي الصيني

أ.د/طيب جميلة

ط.د/ دايد محمد زين العابدين

بمجرد تطبيق شعار ما ولا بد أن يكون ثمة خلفية لمثل هذا البروز الإقليمي . ولكي نعبر عن هذا الموضوع بشكل مباشر يجب أن نعرف مدى ما تقبل به أميركا من تنامي نفوذ الصين وأين يتم هذا التنامي، وذلك كجزء من سياسة إدخال الصين على نحو ناجح إلى الشؤون العالمية.

ففي الوقت الذي انحلت فيه الإمبراطورية الروسية، كانت روسيا تواجه أيضا وضعا جيوبوليتيا جديدا منذرا بالسوء في الشرق الأقصى، حتى بالرغم من أنه لم تحدث أي تغيرات إقليمية أو سياسية. فلعدة قرون كانت الصين أضعف وأكثر من روسيا ، وإن على الأقل في المجالات السياسية العسكرية .ولا يستطيع أي روسي مهتم بمستقبل بلاده وفي حيرة ازاء التغيرات الدرامية في هذا العقد، أن يتجاهل الحقيقة المتمثلة بأن الصين هي في الطريق إلى أن تصبح دولة أكثر تقدما، وأكثر دينامية، وأكثر نجاحا من روسي ا .وأن القوة الاقتصادية للصين، مضافة إلى الطاقة الدينامكية لمليار ومئتي مليون إنسان، تعكس أو تقلب المعادلة التاريخية بين الدولتين، مع الأخذ في الاعتبار، أن المساحات الفارغة في سيبيريا تغري تقريبا باستعمارها) احتلالها (من قبل الصين .كان لا بد لهذا الواقع المضطرب الجديد أن يؤثر في الإحساس الروسي بالأمن في المنطقة الواقعة في الشرق الأقصى، وبالمصالح الروسية في آسيا الوسطى أيضا.

يرينا المشهد في تايوان -بوضوح- أن الصين ليست في حاجة لأن تتساوى في القدرات العسكرية مع الولايات المتحدة الأمريكية حتى تشاركها كقوة عظمى عالمية. كل ما تريده هو القدر الكافي من القوة لردع الولايات المتحدة عن التفكير في مواجهتها عسكرياً من أجل تايوان. والمفاجأة الكبرى هي أنها قد تكون قد حققت ذلك بالفعل. وكثيرون يأخذون هذا الأمر قضية مسلماً بها وهو أن الصين سوف تكون القوة العظمى الكونية القادمة³¹

جاء في تقرير مؤسسة راند في عام 2016 بعنوان: "الحرب ضد الصين: التفكير فيما لا يتقبله العقل"، من طرف الباحث ديفيد سي جومبرت وآخرون أن: الحرب بين الولايات المتحدة والصين قد تبلغ شدة الدمار لكلا البلدين وشرق آسيا والعالم ما يُبديها غير مقبولة للعقل، إلا أنها ليست كذلك: فالصين والولايات المتحدة مختصمان على العديد من النزاعات الإقليمية التي قد تؤدي إلى مواجهة عسكرية أو حتى عنف بينهما. ولدى كلا البلدين حشود كبيرة من القوات العسكرية التي تعمل متقاربة. ومن ثم إذا وقعت حادثة أو احتدمت أزمة، فإنّ كليهما لديه حافز لضرب قوات العدو قبل أن تضربه، وإذا اندلعت الأعمال العدائية فإنّ كليهما لديه وفرة من القوات، والتقنية، والقوة الصناعية، والأفراد؛ للقتال عبر مساحات شاسعة من الأرض، والبحر، والجو، والفضاء، وكذلك الفضاء الإلكتروني، ومن ثم فإن الحرب الصينية الأمريكية التي هي مكلفة وكبيرة جدا، ليست فحسب مقبولة للعقل، ولكنها تحتاج إلى مزيد من التفكير.

ليس توزيع القوة في المنطقة متوازياً أيضاً .فالصين بترسانتها النووية وقواتها المسلحة الكبيرة، هي القوة العسكرية المسيطرة بشكل واضح، وقد تبنت البحرية الصينية عقيدة استراتيجية هي " الدفاع الفعال عن المناطق البحرية البعيدة نسبياً عن الشواطئ، في سعي منها إلى امتلاك قدرة على السيطرة الفعالة على

الطموح الجيوبوليتيكي الصيني

أ.د/طيب جميلة

ط.د/ دايد محمد زين العابدين

البحار ضمن سلسلة الجزر الأولى "مما يعني شمول مضيق تايوان وبحر الصين الجنوبي. وبالتأكيد فإن القدرة العسكرية لليابان تتزايد أيضاً، ومن حيث النوعية ليس لهذه القدرة نظير إقليمي. ومهما يكن من أمر ففي الوقت الراهن، ليست القوات المسلحة اليابانية أداة للسياسة الخارجية اليابانية، ولكن ينظر إليها غالباً على أنها امتداد للوجود العسكري الأميركي في المنطقة.

من المحتمل أن يكون أخطر السيناريوهات هو الذي يتمثل في التحالف بين الصين وروسيا وربما إيران أيضاً فيكون تحالفاً (مضاداً للهيمنة) لا تجمعهما الإيديولوجية وإنما تجمعهما التطلعات أو حالات الضيم التي يكمل بعضها البعض الآخر. وسوف يذكر ذلك من حيث أبعاده بالتحدي الذي شكلته في يوم ما الكتلة الصينية السوفييتية بالرغم من أن الصين ستكون القائد في هذه المرة بينما تكون روسيا الطرف التابع. ولاستبعاد هذا الاحتمال مهما كان بعيداً عن الحدوث يقتضي أن تظهر الولايات المتحدة مهارة جيواستراتيجية على الحدود المحيطية الغربية والشرقية الجنوبية أوراسيا.³² وإذا أمكن القول إن الأهداف القومية للصين، وبالرغم من التنوع الذي لا يمكن تجنبه في وجهات نظر الاستراتيجيين الصينيين عن ملامح معينة، هي واضحة بشكل مبرر وإن الاندفاع الإقليمي للطموحات الجيوبوليتيكية للصين يمكن التنبؤ به نسبياً، فإن الرؤية الجيواستراتيجية لليابان تميل إلى كونها ضبابية أو عاتمة نسبياً، ناهيك بكون المزاج العام الياباني متسماً بدرجة أكبر من الغموض.³³

- إنشاء القواعد العسكرية الصينية

يكتسب الفضاء الجيوسياسي أهمية كبيرة، وازدادت أهمية الجغرافيا البحرية بشكل كبير، ولكن ظلت الدراسات الجيوسياسية الصينية متأخرة عن بعض الدول الكبرى، مما أدى إلى تأخر التنمية الصينية في العصر الحديث إلى حد ما. -أما اليوم- فتزداد البيئة المحيطة تعقيداً يوماً بعد يوم، وتمتد استراتيجية التنمية الصينية إلى الخارج بشكل مستمر، وبالتالي يجب أن تتكيف الصين مع التغيرات الجديدة، وأن تتحول إلى فضاء أوسع. لذلك أصبح التوجه البحري أحد الخيارات الضرورية في هذا السياق، ولكن تواجه الصين عوامل شديدة التعقيد والخصوصية على المستوى البحري، لدرجة أنه قد يتحول النزاع البحري في المستقبل إلى نقاط ارتكاز وانطلاق بعض الدول من أجل كبح النهضة الصينية، وبالتالي أصبحت مسألة حماية الحقوق والمصالح البحرية من القضايا الجديدة التي تتناولها الدبلوماسية الصينية³⁴. ضف إلى ذلك:

- نزاعات بحر الصين الجنوبي

إذا نظرنا إلى النزاعات الحدودية وتأثيراتها في الرضا وعدم الرضا، فنجد أن الولايات المتحدة والصين دخلتا في أنشطة صراعية لها أبعاد إقليمية في ثلاث حالات: كوريا وفيتنام وتايوان، في حالة الكورية كان هناك تدخل مباشر في المعارك. وفي الحالة الفيتنامية كان هناك حرب بأسلوب غير مباشر من خلال وكلاء، أما تايوان فلا تزال الصين تنظر إليها كجزء من إقليمها، والمثال الأكثر نذيراً بالسوء لصراع حدودي، وذلك بالأخذ في الاعتبار التوترات التي تحدث حول تايوان، والقوة المتنامية للجيش الشيوعي الصيني،

الطموح الجيوبوليتيكي الصيني

أ.د/طيب جميلة

ط.د/ دايد محمد زين العابدين

والتصريحات الواضحة من جانب القادة الصينيين، وبعض الدلائل التي تشير إلى النزعة القومية الصينية المتزايدة، إضافة إلى احتمال حدوث حسابات خاطئة من جانب الصين أو تايوان أو الولايات المتحدة الأمريكية.

وتسعى الصين إلى السيطرة على منطقة بحر الصين الجنوبي، ولا نية لديها للتفاوض حول المطالب الإقليمية لجيرانها، ويرجع ذلك إلى المصالح النفطية وضغوط شركات النفط، ورغبة الصين في الصعود كقوة عظمى، وهو ما يعتمد على توافر إمدادات شركات النفط، ورغبة الصين في الضغوط كقوة عظمى، وهو ما يعتمد على توافر إمدادات كافية من النفط والغاز. وقد أشارت وزيرة الخارجية الأمريكية -السابقة- هيلاري كلينتون إلى أن العلاقات الصينية الأمريكية مليئة بالتحديات، فركزت على التوترات الخاصة ببحر الصين الجنوبي، ورأت فيها فرصة تستطيع الولايات المتحدة من خلالها الوقوف في وجه الصين بالنيابة عن حلفائها الآسيويين، وهو الأمر الذي أثار غضب الصين³⁵.

كما تذهب بعض التحليلات إلى أن المشهد الأكثر احتمالا هو مشهد (التصادم التدريجي) بين كل من المبحث الأمريكي الياباني الهندي من ناحية، والصين من ناحية أخرى، لأ، الولايات المتحدة ترغب في إعطاء الصين الفسحة الزمنية التي تحتاج إليها لتحقيق رحلة الصعود، وهي تقوم تدريجيا ببناء حلقة من مناطق التمركز حول الصين، تتمثل بوجودها العسكري في آسيا الوسطى على مقربة من حدود الصين الغربية، وهي موجودة بالفعل في اليابان والمحيط الهندي على حدود الصين الشرقية، وعلى حدودها الغربية في قيرغيزستان.

وكانت أدبيات أمريكية قد حذرت من وجود استراتيجية صينية تهدف إلى بسط السيطرة على العالم، تقوم على التقارب الاستراتيجي بين الصين وروسيا، واقترحت أن تقوم الولايات المتحدة بعدة إجراءات لمواجهة هذا التوجه، من بينها العمل على تقوية التحالفات السياسية والعسكرية والأمريكية، وإقامة دفاع مضاد للصواريخ يضمن سلامة الأراضي الأمريكية وأمن حلفائها، والعمل على منع وصول التكنولوجيا العسكرية المتطورة بطرائق غير مشروعة إلى الصين، كما طالبت كتابات أمريكية أخرى بضرورة تشجيع إدخال تحولات إيجابية داخل الصين بما يؤثر بشكل إيجابي في سلوكها على الساحة الدولية³⁶.

كما إزدادت نفقات الصين الدفاعية في الوقت الحالي، واحتلت المرتبة الثانية بعد الولايات المتحدة، وأصبحت ثاني أكبر منتج للأسلحة في العالم، ويعني ذلك أن الفجوة العسكرية بين البلدين تتضاءل بمعدلات سريعة، فقد كشفت الصين الضوء عن امتلاكها أولى حاملات الطائرات وقاذفة شبح جديدة، وصواريخ بالستية مضادة للسفن لها قدرة على تهديد أقوى القطع البحرية الأمريكية، يضاف إلى ذلك قدرة الصين في مجالات الفضاء والحروب الإلكترونية، كما أعلنت الصين عن إنشاء منطقة جديدة للدفاع الجوي في بحر الصين الشرقي تغطي الجزر المتنازع عليها مع اليابان، وحاولت فرض واقع جديد في بحر الصين الجنوبي الغني بالثروات النفطية³⁷.

ورد في تقرير مؤسسة راند كوربوريشن لسنة 2017 بعنوان: "خيارات بديلة للسياسة الأمريكية نحو النظام العالمي"، لمجموعة من الباحثين أن تعزيز سيادة القانون في بحر الصين الجنوبي، والمطالبة ضمن ذلك بأن تمتثل الصين لقرار محكمة التحكيم الدائمة الصادر في العام 2016 بشأن مطالب السيادة، والحفاظ على قوات عسكرية قوية في المنطقة والرد بشكل حاسم على الاستفزازات العسكرية وتطبيق إجراءات حرية الملاحة.³⁸

إنّ التطور في القدرات العسكرية الصينية جاء لإعادة صياغة العقيدة العسكرية الصينية وتطويرها، ليتحول التوجه الإستراتيجي الصيني من قوة قارية تحتاج إلى قوات برية ضخمة لمواجهة الأخطار المحدقة بحدودها الداخلية، إلى قوة قارية وبحرية معا لديها مجموعة متنوعة من الاحتياجات الأمنية الداخلية والخارجية، ولتجلى هذا التحول في العقيدة العسكرية من خلال التركيز على المتطلبات التالية³⁸:

1. تعزيز المكانة العالمية والإقليمية للصين، لاسيما من خلال حصولها على أسلحة متطورة تقنيا، وقدراتها على إيضاح مبادئها خارج حدودها؛
 2. التعامل مع المواقف العسكرية المستقبلية الغامضة للولايات المتحدة واليابان ودول شرق آسيا والهند؛
 3. الاحتفاظ بالقدرة على التهديد الجدي باستخدام القوة ضد تايوان التي تزايد نزعتها الانفصالية وقوتها الاقتصادية والعسكرية؛
 4. تعزيز النفوذ العسكري والدبلوماسي في الأراضي الإستراتيجية المجاورة التي تطالب بها الصين والقدرة على الوصول إليها، ومنها بحر الصين الجنوبي، والدفاع عن حق استخدام خطوط المواصلات الحيوية في المحيطات في حال نشوب نزاع؛
 5. وتعزيز قدرة الصين على التعامل مع الإضطرابات الاجتماعية المحلية، وحالات عدم الاستقرار الحدودية ذات الأسباب العرقية.
- ولتنفيذ هذه المتطلبات فإن العقيدة العسكرية الصينية تركز على المفاهيم المركزية للحرب المحلية، والدفاع النشط في الأطراف، والاستخدام السريع للقوة خارج الحدود، وترتكز هذه المفاهيم بدورها على عدّة مبادئ إستراتيجية وأساليب قتالية صينية جديدة مثل التعريف الموسع للحدود الإستراتيجية ومفاهيم الردع الإستراتيجي وأخذ زمام المبادرة بتوجيه الضربة الأولى.

- قاعدة جيپوتي العسكرية

تتسارع خطى الصين لملء الفراغ في توازن القوى العالمية عقب انهيار الاتحاد السوفييتي، وانفراد الولايات المتحدة بزعامة العالم؛ فقد نجحت في العقود الثلاثة الأخيرة في بناء اقتصاد قوي، غير أن اقتصاد الصين هو كبير ومدمج عالميا، بما يكفي لدرجة أنّ عزلها أو معاقبتها قد يشكل تحديا يتخطى أي أمر واجهته الولايات المتحدة في الحرب الباردة مع الاتحاد السوفيياتي. وحتى بالنسبة إلى العقوبات في مسائل معينة وجهود منع نقل التكنولوجيا، وقد تجد الولايات المتحدة أنها لا تستطيع -بكل بساطة- الدخول في

الطموح الجيوبوليتيكي الصيني

أ.د/طيب جميلة

ط.د/ دايد محمد زين العابدين

تحالفات لدعم هذه الرؤية³⁹. وأصبحت صناعاتها -أي الصين- تغزو مختلف دول العالم، وفي الوقت نفسه عملت على بناء قوة عسكرية ضخمة تحمي سيادتها، ولم تعد تخفي ميلها لبسط نفوذها خارج حدودها الجغرافية، وإقامة القواعد العسكرية التي تدعم بها تفوقها النوعي، يأتي ذلك في الوقت الذي أعلن فيه الرئيس الصيني شي جين بينغ، عن إستراتيجيتين جديدتين للتجارة الخارجية لبلاده هما «الحزام وطريق الحرير الاقتصادي»، واستراتيجية «طريق الحرير البحري». وتهدف الصين من خلال استراتيجية «الحزام» إلى الانتشار بقوة في دول محددة في وسط آسيا وأوروبا، أما «الطريق البحري» فيستهدف أيضاً دولاً في جنوب وجنوب شرق آسيا، وصولاً إلى الشرق الأوسط، إضافة إلى كينيا وجيبوتي على الساحل الشرقي لإفريقي. وفي إطار تطبيق استراتيجية طريق الحرير البحري، سعت الصين لإقامة قاعدة عسكرية لها في جيبوتي، وقد وقع اختيارها على هذه الدولة لتقيم على أراضيها أول قاعدة لها في الخارج، لأنها تقع على مضيق باب المندب الذي يشكل ممراً لنحو 20% من حجم التجارة العالمية، وللصين النصيب الأكبر منها، إضافة إلى أن 50% من واردات النفط إلى الصين تصلها من المملكة العربية السعودية والعراق وجنوب السودان، الأمر الذي يجعل للممر أهمية استراتيجية مضاعفة بالنسبة إليها. مع العلم أن الصين تسعى دائماً إلى إضافة مجموعة من المراكز الجيوستراتيجية لقائمة قواعدها العسكرية الخارجية، منها مشروع قاعدة "جوانر" على الحافة الجنوبية لإيران.

جاء في تقرير مؤسسة راند في عام 2016 بعنوان: "الحرب ضد الصين: التفكير فيما لا يتقبله العقل"، من طرف الباحث ديفيد سي جومبرت وآخرون أن: الحرب بين الولايات المتحدة والصين قد تبلغ شدة الدمار لكلا البلدين ولشرق آسيا وللعالم ما يُبديها غير مقبولة للعقل، إلا أنها ليست كذلك: فالصين والولايات المتحدة مختصمان على العديد من النزاعات الإقليمية التي قد تؤدي إلى مواجهة عسكرية أو حتى عنف بينهما. ولدى كلا البلدين حشود كبيرة من القوات العسكرية التي تعمل متقاربة. ومن ثم إذا وقعت حادثة أو احتدمت أزمة، فإن كليهما لديه حافز لضرب قوات العدو قبل أن تضربه، وإذا اندلعت الأعمال العدائية فإن كليهما لديه وفرة من القوات، والتقنية، والقوة الصناعية، والأفراد؛ للقتال عبر مساحات شاسعة من الأرض، والبحر، والجو، والفضاء، وكذلك الفضاء الإلكتروني، ومن ثم فإن الحرب الصينية الأمريكية التي هي مكلفة وكبيرة جداً، ليست فحسب مقبولة للعقل، ولكنها تحتاج إلى مزيد من التفكير.

خاتمة:

- وعلى ضوء ما تقدم، يمكن أن نبرز عدداً من الدوافع تجعل الصين تسعى لتحاشي استخدام القوة الصلبة وتشكيل نظام جديد، ومن بينها ما يلي:
- لا يمثل الطموح السياسي والعسكري التقليدي سوى جانب واحد من الجهود التي تبذلها الصين في سبيل تغير وضع قوتها بالنسبة للعالم؛
 - على العكس من الجانب الإقتصادي، فإنّ التحديث العسكري الصيني لا يلقى ترحيباً على المستوى الدولي، وذلك أن ارتفاع ميزانية الجيش الشعبي الصيني ارتفعت معها نوع من التكهّنات السلبية بالإضافة إلى الخوف والقلق لدى عدد كبير من الدول لاسيما القريبة جغرافياً من الصين؛
 - لأول مرة منذ عهد ماو، أصبحت الصين -في عهد شي- تعلن عن نيتها في أن تصبح قوة مهيمنة في آسيا، وذلك بالتأكيد على مطالبها وبسط سيادتها على المناطق البحرية المتنازع عليها بالقوة، وإن كانت لا تزال تؤكد على نفس المنحى التبريري الذي يقول بأنها تقوم بذلك من منطلق دفاعي.

الهوامش

- 1 (طيب جميلة) ، العلاقات الصينية المغاربية بعد الحرب الباردة: العلاقات الصينية الجزائرية نموذجاً، المجلة الجزائرية للدراسات السياسية، المجلد الخامس العدد الأول، جوان 2018، (ص10).
- 2 (تشن تشيماو)، الاتجاه نحو عالم متعدد الأقطاب . رؤية صينية، السياسة الداخلية، العدد 10 ، جويلية 2001 ، (ص60).
- 3 (رشا أحمد الديسط)، الدور الصيني في النظام الإقليمي لدول جنوب شرق آسيا في الفترة من 1991 حتى 2008، رسالة ماجستير، جامعة القاهرة، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، (2012)، (ص112).
- 4 Jiang Ye, Will China Be a Threat To its Neighbors & the World in The twenty First Century? Ritsumeikan Annual Review of International Studies, Japan: Ritsumeikan University College of International Relations, Vol.1 2002, p56.
- 5 (سلي نبيل الشعراوي)، العلاقات الصينية الأمريكية وأثر التحول في النظام الدولي، دار العربي للنشر والتوزيع، مصر، (2018)، (ص91).
- 6 James Steinberg & Michael E. O'hannon, Strategic Reassurance & Resolve : US – China Relations in the Twenty First Century, Princeton University Press, 2014, p19.
- 7 Minqi Li, « The Rise of China & the Denise of the Capitalst World Economy », Monthey Review Press, NY, 2008, p1.

- 8 (أنطوان برونيه وجون بور جيشار)، المرجع السابق، (ص234).
- 9 (عبد الخالق عبد الله)، العالم المعاصر والصراعات الدولية، سلسلة عالم المعرفة ، العدد133، المجلس الوطني للثقافة والعلوم والآداب، الكويت، يناير، (1979)، (ص57).
- 10 (طيب جميلة)، المرجع السابق، (ص6).
- إن مفهوم القوة الناعمة في العلاقات الدولية لم يحظى بالكثير من العناية، لاسيما بالتأصيل النظري العلمي الذي طرحه (جوزيف ناي)، على اعتبار أن الهدف الذي كان يسعى إليه لم يكن دراسة المفهوم الأكاديمي والعلمي بقدر ما كان استخدام هذا المدلول في سياق سياسي يخدم صناع القرار في الولايات المتحدة الأمريكية. (الباحث)
- 11 Joseph S. Nye, « Why China weak on Soft Power », https://www.nytimes.com/2012/01/18/opinion/why-china-is-weak-on-soft-power.html?_r=0, 2016 (consulté le 16/01/2019).
- 12 (فراس محمد أحمد)، الدبلوماسية العامة والقوة الناعمة الصينية، ص23.
- 13 Bernard Ateba, Is Rise of China a Security Threat, Polis, UK : Political Studies Association of the United Kingdom, Vol, 9, N° Special, p3.
- 14 (أنطوان برونيه وجون بور جيشار)، نفس المرجع، ص239.
- لا بدّ من الإشارة إلى العروض العسكرية بمناسبة تاريخ تأسيس الدولة في الفاتح من أكتوبر 2019، وعرض مختلف الأسلحة التي تحوزوها الصين بتكنولوجيا عالية ومتطورة، مثل الصواريخ البالستية من نوع DF-41، ما أثار قلق الكثير من الملاحظين العسكريين والأكاديميين.
- 15 Shaun Waterman, « China overtakes U.K. as fifth-largest arms exporter ; U.S. still No. 1 », The Washington Times, 18-3-2013, On : <https://www.washingtontimes.com/news/2013/mar/18/china-overtakes-uk-fifth-largest-arms-exporter-us/> (consulté le 09/05/2019).
- 16 نفس المرجع، (ص46).
- 17 Office of the Secretary of Defense, Annual Report to Congress : The Military Power of the People's Republic of China, 2005, p21.
- 18 (نوح فلدمان)، مرجع سابق، (ص53).
- 19 (السيد ياسين)، صعود الصين، المركز القومي للترجمة، ط1، القاهرة، (2010)، (ص65).
- 20 Amitav Acharya, Seeking Security In The Dragon's Shadow : China & Southeast Asia In The Emerging Asian Order. A paper presented to the Asian Security Conference 2003, 27-29 January 2003, Organiezd by the Institut for Defense Studies & Analuses, New Delhi, p13.

Michel Martina, « World's Top 5 Arms Exporters : China Replace UK In Weapons Trade », Huffigton poste, , On : https://www.huffingtonpost.com/2013/03/18/worlds-top-5-arms-exporters_n_2899052.html?ec_carp=6895751292821585102 (consulté le 18/3/2013)

Chinas Military Build-Up, Implications for U.S. Defense Spending, Defending Defense, USA, March 2001 , p3.

Chinas Military Build-Up, Op Cit, p5. 23

• ظهر القمر: الجهة الخفية من القمر

• إذا ما بحثنا بشكل معمق في مفهوم "القوة الناعمة" في الصين، فنجد أنه من الممكن إرجاعها إلى أكثر من ألفي سنة خلت من خلال مفاهيم الكونفوشيوس والأفكار القديمة للمفكرين والفلاسفة الصينيون، فالأيديولوجية الكونفوشيوسية المهيمنة على الصين يمكنها النفاذ إلى المستوى العالمي من خلال تصورهما نموذجاً أخلاقياً. وربما الذهاب إلى أبعد من ذلك إلى زمن "صن تزو" وكتابه الإستراتيجي الشهير (فن الحرب)، والذي رسم فيه فكرة كيفية التغلب على العدو أيضاً عبر "القوة الناعمة" عن طريق استهداف فكره وعقله وثقافته للحد من قوة الخصم التقليدية الصلبة لصالح القوة الذاتية الناعمة. (الباحث)

24 (سماح عبد الصبور عبد الحي)، القوة الذكية في السياسة الخارجية، دار البشير للثقافة والعلوم، الإمارات العربية المتحدة، ط1، 2014، (ص62).

Yang Lijun & Lim Chee Kia, Three Waves of Nationalism in Contemporary China : 25 Source, Themes, Presentation & Consequences, EAI, Working Paper No. 155, 27 July 2010, p19.

David Lai, The Coming of Chinese Hawks, Strategic Studies Institut, US Army War College, October 2010, p2.

Ibid. 27

28 Edward N. Luttwak, The Rise of China vs the Logic of Strategy (Combridge, Mass : Havard University Press, 2013).

ولتأكيد هذا الموقف فإن لوتراك يعتقد بأن الصين قد تفشل في اتباع اهتمامها العقلاني بتبني الانضباط العسكري والدبلوماسي.

29 اعتمدت أطروحات نورمان أنجل حول عدم عقلانية الصراع على أن يكون حجم الترابط الإقتصادي الدولي أكبر بكثير، وليس على التبعية المتبادلة بين طرفي المنافسة.

30 (نوح فلدمان)، مرجع سابق، (ص 29).

31 (جانغ يون لينغ)، الحزام والطريق، دار صفصافة للنشر والتوزيع والدراسات، ط1، مصر، (2017)، (ص17).

32 جانغ يون لينغ، المرجع السابق، (ص178).

- 33(مصطفى علوي)، قطبية لا متماثلة: تحولات السياسة الروسية اتجاه الولايات المتحدة، السياسة الدولية، العدد 195، (2014)، (ص104).
- 34علاء عبد الحفيظ محمد، مرجع سابق، ص15.
- 35جانغ يون لينغ، المرجع السابق، (ص178).
- 36(مصطفى علوي)، قطبية لا متماثلة: تحولات السياسة الروسية اتجاه الولايات المتحدة، السياسة الدولية، العدد 195، (2014)، (ص104).
- 37علاء عبد الحفيظ محمد، مرجع سابق، ص15.
- 38(عادل البديوي)، الإدراك الاستراتيجي للولايات المتحدة الأمريكية دراسة في المبادئ الجيوبوليتيكية، دار الجنان للنشر والتوزيع، الأردن، (2016)، (ص408).
- 39(مايكل جاي مازار وآخرون)، "خيارات بديلة للسياسة الأمريكية نحو النظام العالمي"، تقرير مؤسسة راند، سانتا مونيكا، كاليفورنيا، (2017)، (ص49).